من مكارم الأخلاق

اجتناب الكذب

أثنى الله عز وجل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم :4

وعندما سئلتْ السيدة عائشة رضى الله عنها عن خُلُق الرسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: كان خلقه القرآن. وكلنا يعرف حسن الخلق ومكارم الاخلاق التى بُعث النبى صلى الله عليه وسلم من أجلها فقال صلى الله عليه وسلم: ﴿إنما بُعِثتُ لأتمّم مكارم الأخلاق﴾.

كلنا يعرف فضل الصدق والأمانة والعفو والكرم والحياء ، ولذلك لن نتحدث عن تلك الصفات الحميدة وإنما يهمنا هنا الكشف عن أسوأ صفة يتصف بها إنسان ما أو مجتمع ما من المجتمعات ، والكذب من أبشع الصفات التى يتحلى بها المرء ، لأنه يعد مفتاح كل الخبائث وباب كل الرذائل. نحن بحاجة لتشخيص هذا الداء» الكذب « والكشف عنه ، ليس فقط لعلاجه والوقاية منه ، وإنما لاجتنابه مخافة الوقوع فيه. كما قال سيدنا حذيفة رضى الله عنه: «كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه » أن صفة الكذب من أكثر ما حذر الله منه في القرآن الكريم، فقد جاءت فيما يقرب من «٢٨٠» آية بالقرآن توضح العاقبة الوخيمة للكذب، فهذه الصفة الذميمة تثير غضب وسخط الله عز وجل ورسوله والمؤمنون ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ سورة الصف: ٢-٣

الكذب محرم على المسلم قولا وفعلا ضاحكا به أو جادًا أو مخادعا. ولقد حرص الإسلام على أتباعه ليتحلوا بالأخلاق الكريمة وان يجتنبوا الأخلاق السيئة التي تودي بحياة المرء وشيمته ودينه وتسقط آدميته وإنسانيته.

وقد يستهان بالكذب بأن يكون مجرد اختلاق لقصة لا أصل لها أو بنقل حدث أو خبر أو رواية بالنقصان أو الزيادة مما يغير المعنى أو يُحرف الحدث أو الخبر عما هو عليه ، وقد يستهان بالكذب بالافتراء والادعاء بما ليس بالواقع بقصد التحايل وإثارة الإشاعات والفتن واجتلاب النفع واستدفاع الضر.لكن هل فعلا الكذب ينجى ..؟! قيل فى الأثر : تحروا الصدق، و إن رأيتم أن فيه الهلكة، فإن فيه النجاة، و اجتنبوا الكذب و إن رأيتم أن فيه النجاة، فإن فيه الهلكة. والصدق هو القول بالحق فى مواطن الهلكة أى ان حقيقة الصدق أن تصدق فى مواطن لا ينجيك منها إلا الكذب . فعليك بالصدق حيث تخاف أنه يضرك فإنه ينفعك ، ودع الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك.

وكما قيل فى المثل:» إذا كان الكذب ينجى فالصدق أنجى».

الأسباب التى يكذب من أجلها الكذابون

قد يكون الكذب هدفا لحب الظهور وتقلد المراتب المزيفة من رتب هذه الدنيا ، وقد يكون الكذب بقصد التشفي من إنسان ما بوصفه بأقبح الأوصاف أو حب الترؤس أو لسوء الطوية وسوء الأدب حتى ترادف عليه فألفه فصار عادة له ومنهجا مُتبعا.

كما ذكر الرسول أن أشد الخيانة قسوة أن تكذب فتُجند كل معطيات حديثك لإثبات وصحة كذبك ويصدّقك من تكذب عليه . بل والأدهى من ذلك أن البعض يعد براعته فى الكذب وقدرته على خداع الآخرين بل وتصديقهم له ذكاء وشطارة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم

كبرت خيانة، تحدث أخاك حديثا، هو لك به مصدق، وأنت له به «كاذب».

■■■

الكذب المباح شرعا

الكذب لا يجوز في الشريعة إلا في ثلاثة مواضع كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يصلح الكذب إلا في ثلاث: الرجل يكذب في الحرب والحرب خدعة، والرجل يكذب بين الرجلين ليصلح بينهما، والرجل يكذب للمرأة ليرضيها بذلك» رواه أحمد ومسلم. وقال عليه الصلاة والسلام «ليس الكذاب الذي يصلح بين اثنين او قال «بين الناس فيقول خيرا أو ينمي خيرا» رواه البخاري ومسلم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وان المتتبع لآيات الله تعالى يجد كل الوعيد والتهديد والسخط والغضب من الله عز وجل بل واللعنة على الكاذبين: ﴿فويل يومئذ للمكذبين﴾. الطور :١١

ومن أقبح الصفات والسمات المذمومة التى نسبها الله عز وجل للكذابين الخداع والغش والظن وشهادة الزور والنفاق والإفك والخيانة والظن وغيرها . فوصف الله أصحاب الخداع والقلوب المريضة بالكذابين فقال جل وعلا: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ البقرة : ٨-٩-١٠

والخداع والغش بشتى أنواعه يعد كذبا ، مثل تعليق لافتة على سلعة من السلع غير حقيقية لجذب الزبائن، أو أن تغير الأسعار وفقا لحالة المشترى ، أو أن تغش فى الامتحان والميزان ، أو ان تسرق شيئا صغيرا يعد لديك غير ذى قيمة مثل الكتاب أو قلم أو شريط أو اسطوانة.

كما شهد الله عز و جل أن المنافقين لكاذبون فيقول سبحانه وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ المنافقون :١. ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ﴾ الجاثية : ٧ والأفاك هو الكذاب في اقواله، والأثيم في افعاله. وقال سبحانه ﴿قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ﴾ الذاريات : ١٠ اي لعن وقبح الكذابون. .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا اؤتمن خان». وقال عليه الصلاة والسلام «اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها، إذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا وعد أخلف واذا خاصم فجر» رواهما البخاري ومسلم. وحذرنا رسول الله من الظن لأن الظن يعد كذبا كما قال رسول الله: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»

كذلك من آيات القرآن الكريم عن الكذب : ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ العنكبوت : ١٢

﴿فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ يوسف : ٢٦ وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ .النحل:١١٦.

﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖ﴾.

يوسف : ١٨)

﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ العلق:١٦

ومن آيات القرآن ما ورد من تكذيب الأنبياء، وتكذيب يوم القيامة وتكذيب الآيات وتكذيب الحق والتكذيب بالآخرة والتكذيب بالنار والتكذيب بلقاء الله وكذلك التكذيب بوعد الله وغيرها .وأما تكذيب يوم القيامة، فهو يحتوي على معنى نفيه واعتباره غير موجود، إما حقيقة واعتقادا، وإما سلوكاً وتصرفاً وان كان يؤمن به اعتقاداً، وهذا هو الادهى. ومرجع التكذيب إلى اعتبار المبشرين عنده كالأنبياء كاذبين في إخبارهم عنه، حسب زعم المادين والكفار. وقوله عز وجل: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ (الماعون :١). ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ الطور : ١٤. ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ المؤمنون : ٣٣ ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .سورة الرحمن.

ومما ورد في القرآن الكريم من معاني التكذيب: التكذيب بالوعد هو المفارقة بين جعل الوعد وبين تنفيذه أي يَعِد ولا يفعل. ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ غافر : ٥٥. ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ .هود:٦٥.

ومما ورد في القرآن الكريم من أنواع الكذب:

● الكذب على الآخرين فمنهم من يكذب على الله ومنهم من يكذب على رسوله ومنهم من يكذب على نفسه ومنهم من يكذب على الكفار، إلى غير ذلك.

﴿ويوم ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ الزمر: ٦٠ ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله﴾ الأنعام: ٣١.

● وأما الكذب على النفس ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الأنعام: ٢٤.). مثل:ادعاء الكمال وكثرة الطاعة وان الحسنات من الفرد لا من الله. وكلها كما هي كذب على الله كذب على النفس. بمعنى محاولة إقناعها بغير الواقع وكثيراً ما يحصل ذلك بما ذكرناه وبغيره، كأهمية فرد معين أو عمل معين أو هدف معين، من دون أن تكون له تلك الأهمية بل قد يكون ضرره أكثر من نفعه.

جهاز كشف الكذب حقيقة

هناك تغيرات واضحة جدا تحدث للإنسان عندما يكذب ، وقد اخترع العلماء أجهزة لكشف الكذب تعتمد على قياس سرعة نبضات القلب وكمية العرق المفرز من اليدين والوجه وعلى قياس الهرمونات وعلى قياس ضغط الدم وغير ذلك، لكن بقيت كفاءة هذه الأجهزة ضعيفة لأن المحترفين تمكنوا من خداع هذه الأجهزة ببراعة ومهارة فائقة تفوق قدرة تلك الأجهزة ولم تظهر عليهم أي تغييرات تُذكر. لكن الباحثين وجدوا في هذا المجال وبعد الكثير من التجارب الشاقة أن الإنسان في لحظة بداية كذبه في هذه اللحظة تحدث تغيرات على وجهه تدوم لوقت من الثانية ومعظم الناس لا يلاحظون هذه التغيرات ، لكن بالتصوير السريع تظهر هذه التغيرات بوضوح على معظم أجزاء الوجه.

ويؤكد الباحثون أن أي إحساس مفرط في الحزن والألم أو السعادة يمر به الإنسان ولد عنده تغيرات في وجهه وفي جسمه، لكنها تمر سريعاً بحيث يصعب ملاحظتها، ولذلك فقد طور هؤلاء الباحثون برنامج كمبيوتر يحلل تغيرات الوجه بسرعة مذهلة ويرصد أي تغيرات مهما كانت ضئيلة و دقيقة وصغيرة. ويقولون إن التعبير الذي يظهر على الوجه في حالة الكذب يختلف عن ذلك التعبير الذي يظهر في حالة الغضب، وكذلك يختلف عن ذلك التي يظهر في حالة الإحساس بالذنب وغيرها في الفرح والسرور و هكذا. والنتيجة التي نصل إليها أن الأحاسيس التي يمر بها الإنسان تظهر على وجهه، ولقد سبق القرآن الكريم تلك الأجهزة الحديثة فقال تعالى في حق أولئك الملحدين الذين ينكرون القرآن:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ﴾ الحج: ٧٢فقد ربط القرآن بين تعبير الوجه وبين ما يدور في مخ هؤلاء من أحاسيس ومشاعر تجاه القرآن.

ويقول العلماء إن أي تصرف لدى تكراره بكثرة فإنه يترك آثاره الواضحة على الوجه بالدرجة الأولى حتى يصبح جزءاً من ملامح الوجه، ولذلك قال تعالى في حق المؤمنين الذين يكثرون من السجود: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ الفتح:٢٩ وكذلك فإن هؤلاء المؤمنين يتميزون بوجوههم النضرة يوم القيامة نتيجة صدقهم: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ (٢٢) ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ المطففين:٢٢-٢٤

أما المنافقون الذين يظنون بأنهم يخدعون المؤمنين في الدنيا ويخفون ذلك فإن هذه الوجوه لا تخفى على الله تعالى، ولذلك صور لنا القرآن عذاب هؤلاء وأن وجوههم التي حاولوا ببراعة إخفاء سماتها سوف تقلب في النار: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا﴾ الأحزاب: ٦٦

ولذلك فإن هذه الوجوه التي كذبت في الدنيا تُحشر سوداء يوم القيامة من آثار الكذب، فيقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ الزمر: ٦٠

بصمة الصوت تكشف عن الكذب

وجد العلماء أن هناك تغيرات تحدث للصوت أثناء الكذب. فصمموا برنامج كمبيوتر لتحليل الترددات الصوتية ولاحظوا بأن الإنسان بمجرد أن يبدأ بالكذب فإن انحناء بسيطاً يحدث في المنحني البياني الخاص بصوته، وهذا ما أخبر الله به حبيبه محمداً صلى الله عليه وسلم عن أولئك المنافقين الذي يقولون عكس ما في قلوبهم: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ محمد:٣٠وحول تعريف لحن القول ورد في كتاب مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ما يلي:

اللحن: صرف الكلام عن سننه الجاري عليها إما بإزالة الإعراب؛ أو التصحيف، وهو المذموم، وذلك أكثر استعمالا وإما بإزالته عن التصريح وصرفه بمعناه إلى تعريض وفحوى، وهو محمود عند أكثر الأدباء من حيث البلاغة .

ونحن نعلم الآن في عصرنا هذا ما هو اللحن والألحان .فهاتان الكلمتان تشرحان طريقة الكشف عن المنافقين الكاذبين ..

ففي هذه الآية أكد المولى تبارك وتعالى أن النفاق والكذب يظهران على وجه صاحبهما ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ أي بالتعبير المرسومه عَلَى وجوههم، وفي صوتهم .الكذب يظهر في قولهم وفي صوتهم: علامات

﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ ، واللحن أيَ التصنع في الصوت ولحن القول هي تلك النغمة الخفيفة التي تظهر على الصوت أثناء الحديث ، ومن ذلك الألحان .وهذه المعجزة تحدث بها القرآن منذ ١٤٠٠ سنة. فأخبرنا عن حقيقة علمية لم تتكشف أمامنا إلا في القرن الحالي وهي علاقة الكذب بالوجه وعلاقة الكذب بالقلب واضطرابه ، وعلاقة الكذب بالصوت ولحن القول، وهو ما أثبته العلماء يقيناً اليوم .

التعبير الذى يظهر فى حالة الكذب يختلف عن ذلك التعبير الذى يظهر فى حالة الغضب

بقلم

د. أميمة خفاجي

أستاذ مساعد الهندسة الوراثية

جامعة قناة السويس